جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية

الندوة التّكوينية لطلبة الدكتوراه: الخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة

يوم 10 جانفي 2024.

عنوان المداخلة: الرواية والتّجريب الصوفي: بدايات التّشكيل وخلفيات التّكوين.

الدكتورة: حميدة قادوم / الرتبة: أستاذة محاضرة أ.

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة تتبع البدايات الأولى لحضور التجربة الصوفية في الأدب العربي بمختلف أجناسه (شعر، قصة، رواية)، وعرض شروط نجاح الكاتب في توظيف البعد الصوفي هذا من جهة، ومحاولة الكشف عن ملامحه في بعض النماذج المنتخبة على غرار رواية زهوة للحبيب السايح.

الكلمات المفتاحية: الرواية، التّجريب، الصوفية، التّشكيل.

Summary :

This research paper seeks to try to trace the first beginnings of the presence of the Sufi experience in Arabic literature in its various genres (poetry, story, novel), and to present the conditions for the writer's success in employing this Sufi dimension on the one hand, An attempt is made to reveal his features in some selected models, such as the novel Zahwa by Al-Habib Al-Sayyah .

Keywords: novel, experimentation ,Sufism, formation

مقدمة:

عرفت الرواية العربية المعاصرة في الآونة الأخيرة تحولا ملحوظا صحبه تحوّل في الرؤية والتشكيل السردي وآلياته، وقد سعى الروائيون إلى محاولة استحداث رواية عربية مكتملة البناء وبعيدة في الوقت نفسه عن النموذج الغربي ذي التوجه المادي، فكانت العودة إلى التراث هي المتنفس الذي يعوض به النقص الذي عانت منه الرواية في بدايات ظهورها، ومن التراث كانت الوجهة نحو فعل التجريب الصوفي الذي يسمح للمبدع التعبير عن رؤيته للحياة انطلاقا من قناعاته الخاصة بضرورة فهم العالم والتأمل في الأكوان والمعرفة الباطنية بأن كل ذلك إلى زوال.

ومن هذا المنطلق بدأت الرواية العربية المعاصرة تتشكل في بعدها الصوفي المغرق في الروحانية العالية والترميز الموحي المكتنز لمختلف مساحات المعرفة، هذا من جهة والارتقاء بالروح من أجل الوصول بها إلى مقام الأولياء الصالحين في علاقتهم بالذات الإلهية، والإغراق في العجائبية عن طريق الخلوة والمناجاة والدعاء رغبة في تحقيق الكرامات التي لا ينالها إلا عباد الله الصالحين.

وعليه فإننا سنقف في هذه المداخلة عند البدايات التي ظهر فيها التجريب الصوفي في الأدبي العربي، وتتبع انتشاره وانتقاله من جنس أدبي إلى آخر، هذا من جهة، ومحاولة رصد ملامح حضوره في رواية "زهوة للحبيب السايح .

1-التّجريب الصوفي في الأدب العربي:

بدأ الاهتمام بالتّجريب الصوفي عند الأدباء العرب منذ زمن بعيد، وكانت البداية مع الشعر الذي أخذ حظا كبيرا في هذا الباب، ومرد ذلك "أن الشعر بطبيعته لا يستجيب فقط

لدقائق هذه التجربة، إذ يبوح بشيء من بواطنها ويكشف عن خلجاتها، بل هو علاوة على ما سبق يضطلع بتشكيل التجربة، فيؤسسها في مفارقاتها وتواتراتها القصوى"[1]

فاشتهر ابن عربي، وابن الفارض، والنّفري، وأبو حيان التّوحيدي، جلال الدّين الرومي وغيرهم بقصائدهم الصوفية التي مثلت بابا مستقلا من أبواب الوعظ والإرشاد والتّذكير بالآخرة؛ بالجنة ونعيمها وبالنار ولهيبها، وكان ذلك بعد أن شاع اللهو المادي والغفلة الروحية عن الأمور الدينية وتقديس الأمور الدنيوية عند أغلب الناس، وهكذا أسهم الشعر في تجديد النازع الديني وتصحيح علاقة الانسان بخالقه ومحاولة تقويم الأخلاق الاجتماعية.

ثم ظهرت القصة كنمط آخر من أنماط التّوجيه وإرشاد الناس إلى طريق الحق والهداية، ودعوة صريحة إلى نور الله الدائم، فكان الحسن البصري في طليعة الذين تحدثوا" عن زوال الدنيا وصغر شأنها وعن الموت وما يكون وراءه من عذاب للعصاة والمذنبين أو ثواب عظيم مقيم للمخلصين والمؤمنين القانتين، وذلك كله في أسلوب يؤثر في نفوس القارئين والسامعين أبلغ تأثير."[2]

ومن القصة انتقل التّجريب الصوفي إلى الرواية التي فرضت وجودها على الساحة الأدبية واحتلت الصدارة منذ مطلع الألفية الماضية محاولة تقديم نموذج معاصر يلائم طموحات القارئ العربي، وشطحات المبدع الحداثي من أجل بلوغ ركب المحدثين، فكان على الروائي العربي أن يخرج بنصه من إطار المحلية إلى مدار العالمية، ومحاولة استبطان الذّات الإنسانية والبحث عن الجانب الخفي فيها تأملا في الكون، وقربا إلى براح التّجربة

---

[1]– وفيق سليطين، الشعر والتصوف، ط1 ، دار الحزار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 2013، ص12.

[2]–علي صافي حسن، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع هجري، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف، مصر، د.ط، 1981، ص145.

الروحية، وتحقيق القيم والأخلاق التي غفل عنها الناس في زمن مادي كثر فيه التنافس على ملذات الحياة وشهواتها.

وهكذا ظهرت الرواية الصوفية وولدت من رحم التّجربة الصوفية في الشعر لأن "معظم الصوفية هم شعراء في الأصل، فقد اتخذوا الشعر مطية للتّعبير عن أشواقهم و مواجيدهم وتعميق فلسفتهم ورؤاهم المتفردة للكون والوجود، فلا غرابة أن يكون الروائي الصوفي شاعرا يبث فلسفته الصوفية شعرا مسرودا أو سردا شعريا يجمع كل الأجناس الأدبية وغير الأدبية ليعبر عن تجربة الواقع الهش الذي أزمته المادة، وقُزمت الإنسانية فيه إن لم تكن قتلتها وقضت على كل شيء روحي يخفف حدة الأزمة، ويقيم جسور تواصل إنسانية بعيدا عن المادة المستشرية فيه"[3]

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أهمية الدافع وقوة البرهان للجوء الروائي العربي إلى استثمار الموروث الصوفي الذي أنتج لنا ما أصبح يعرف بالرواية العرفانية أو الرواية الصوفية، والرواية العالمة، والرواية النورانية أو الكتابة بالنور كما نجدها عند بعضهم نسبة إلى استنادها إلى كتاب الله وما جاء فيه من آيات ، وقيل نسبة إلى اسم الله النّور ، فهي الكتابة التي تكشف الحجب عن علاقة الانسان بخالقه والاطلاع على أسرار الغيب في حالات الشطحات التي يعيشها الصوفي في رحلة بحثه عن الحقيقة الوجودية، وهكذا تكون غاية الصوفي واحدة "وهي الاتصال بالله تعالى والعكوف على العبادة والانقطاع إليه، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والتّحلي بالصفات الحسنة التي أمرنا الله بها، والمراد من التّصوف أن يعيش المرء لربه لا لنفسه بالإقبال إليه بالروح والقلب في جميع الأوقات،

---

[3]– فتيحة غزالي، تجليات الصوفية في الرواية المعاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018/2017، ص27.

وتهذيب النّفس والمجاهدة الروحية سعيا إلى تطهير النّفس وتصفيتها من شوائب النفس وأغراض الجسد."[4]

وأمّا غاية الروائي فتكمن في البحث عن الحقيقة المادية، خاصة في ظلّ حركة الحداثة الغربية التي نادت باستقلال الانسان وتحريره من الدين، فوقع في فخ الإلحاد وتمجيد الانسان على الذّات الإلهية، وهذه الأفكار الغربية هي التي ولدت فكرة أنّ الانسان هو محور الكون، وخرجت بفلسفة تأليه الانسان في الفكر الوجودي والسريالي" وقادهم ذلك إلى الاعتداد بالإنسان وقدراته الخارقة إلى إعلان الفكرة النتشوية القائلة بموت الله بل قتله"[5] وفي هذه الفكرة تمرد" بكل أشكاله وتلويناته على الله وسلطانه وقيمه من تغييب للطفه وعنايته إلى تدنيس لاسمه، إلى حلولية وثنية تحطّ من تعاليه–سبحانه وتعالى– وتعلي من شأن الانسان الضعيف وتؤلهه، إلى كل ضروب التّطاول، وسوء الفهم للألوهية والربوبية."[6]

عملت هذه الأفكار الغربية على تضليل الانسان العربي، وحاولت أن تسحبه إلى براح الالحاد والإغراق في المادية والعولمة، ولكنها اصطدمت بحائط صلب كان أبطاله فئة من المبدعين الذين تفطنوا إلى ذلك، فباشروا بالتّغيير عن طريق التّجريب الصوفي الذي بإمكانه أن يعيد للإنسان منزلته الحقة، فيكون عبدا لله، خاضعا لأوامره متقيدا بنواهيه، وكانت الرواية مسرحا مناسبا لعمليات التّطهير الفكري التي سار عليها أغلبهم فكان نهلهم من التّجربة الصوفية هو ملاذهم" فحاولوا إضفاء توليفات لغوية تحمل نفحات صوفية سواء على مستوى توظيف المصطلحات الصوفية بما تحمله من كثافة دلالية ورمزية، أو عن طريق تعالق

---

[4]– مجدي محمد إبراهيم، التجربة الصوفية، بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية ورؤية الواحدية في تجربة العارف الروحانية، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص17.

[5]– سكينة قدور، تحولات الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، أدونيس وأحمد السهاوي، أعمال الملتقى الوطني: تلقي النص التراثي في المنظور الحداثي، يومي 13و14 مارس 2012، جامعة الأمير عبد القادر، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، ص114.

[6]–أدونيس، الثابت والمتحول، ص34.

نصّهم بنصوص صوفية لتأكيد شعريتها ورمزيتها وهذان العنصران يشكلان هذا النوع من التّجريب."[7]

2-**<u>صفة الرواية الصوفية وشروطها:</u>** والسؤال الجدير بالطرح في هذا المقام: هل حضور المعجم اللغوي الصوفي وحده كفيل بجعل النّص يتخذ صفة الصوفي؟ وهل هناك شروط محددة حتى نعتبر رواية ما صوفية؟

إنّ الإجابة عن هذا الانشغال يشترط علينا العودة إلى عدد من النصوص الروائية من أجل تتبع بنياتها الدّاخلية في إطار التّوليفات اللّغوية الصوفية المتاحة، هذا من جهة، والاطلاع على مواقف النّقاد-على اختلافهم-من جهة أخرى، وهذا لن يتأتى لنا معرفته ما لم نعرف حقيقة التّصوف **لأنّ الروائي والصوفي كلاهما يشتركان في نقطة مهمة وهي البحث عن الحقيقة؛ مع اختلاف الوسيلة والطريقة.**

وبناء على ذلك كان تعريف بعض الباحثين للرواية الصوفية بأنّها" عمل سردي يروي حكاية ما تثير أسئلة خارجة، تشكل أجواء غرائبية، تفكك المتعارف عليه، تقوض المعترف به، توحد بين المتنافرات وبالتالي تخلق فضاء من التّجاوز والمتعة (...) ففي الخطاب الصوفي نجد الأضداد متطابقة والاختلافات مجتمعة والوجود في حالة وحدة حيث تصبح التباينات والتراتبات التي يصر عليها المجتمع الطبقي والتّقليدي قشرة سطحية...وليس عجبا إذن أن يقوم الخطاب الصوفي المميز بقصده وكثافته ورمزيته بالتّلاحم مع نقيضه الخطاب الروائي ليشكل نسيجا روائيا يصعب أن تميز بين ما هو سردي وروائي فيه وبين ما هو تأملي صوفي."[8]

---

[7]- أسيا متلف، التجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة وتجلياته، مجلة التعليمية، م4، ع10، مارس 2017، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس ص174.

[8]فريال جبوري غزول، الرواية الصوفية في الأدب المغاربي، مجلة البلاغة المقارنة، الأدب والأنثروبولوجيا في إفريقيا، ع17، 1997، ص29.

فالملاحظ من هذا التّعريف أنّ الرواية الصوفية تخضع لشروط عدّة أهمها حضور الرؤية الصوفية في العمل السردي، وهذه الرؤية تنبئ ولا شك عن أجواء عجائبية خارقة على عكس المتعارف عليه والمألوف، وهذا ما يطلق عليه (الكرامات) التي تعبر غالبا عن علو الروح وارتقائها في الاتصال بالذّات الإلهية ممّا يفرز حدوث أشياء غريبة لا تحدث مع عامة النّاس، وقد يعبّر عن هذه العجائبية في النّص الروائي بسردية **الحلم/المنام**، لأن "الحلم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم البرزخ، وهو أكمل العالم فلا أكمل منه، ويرد ما ليس قائما بنفسه وما لا صورة له يجعل له صورة، ويرد المحال ممكنا ويتصرف في الأمور كيف يشاء."[9]

فالحلم/المنام عند المتصوفة غير مقترن بالنوم العميق فحسب، بل هو حالة يعيشها المتصوف في خلوته يخرج خلالها من العالم المحسوس إلى عالم فوقي/نوراني ويستمر زمنا مطلقا لا يستطيع تقديره بعد صحوته منه، "فعالم الرؤيا عندهم غير محصور بحالة النوم فقط، بل بالنوم واليقظة معا، وذلك لمن وصل منهم إلى مرتبة تسمى **اليقظة**. وهذه المرتبة يكون فيها العبد في حضور دائم مع الله، أي لا يغفل أو يسهو طرفة عين عن الله تعالى، الأمر الذي يعني أن ليله كنهاره، ويقظته كمنامه، ورؤياه كرؤيته."[10]

3- حضور عناصر الخطاب الصوفي في رواية "زهوة" للحبيب السايح:

اعتمدت أغلب الروايات الصوفية في تشكيلها على الحلم/المنام باعتباره فضاء مناسبا للتّجليات النّورانية والإغراق في العجائبية ممّا يجعل النّص يجسد النزعة الصوفية بوضوح، ومن ذلك ما نجده في رواية "زهوة "للحبيب السايح التي تعتبر رواية صوفية تنقلب على

---

[9]-ابن عربي، الفتوحات الملكية، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ط2، 1985، ص183.

[10]- الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي، دار القادري للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1 ، 2007، ص35.

الموضوعات الروائية السائدة لخدمة نزعة من نزعات الصوفية، فالمتخيل فيها ينزع إلى التّأمل والتّدبر، والسرد ينزع إلى الإغراق في العُجب والفوقية، والزمن فيها ينزع إلى المطلق حيث تسافر الروح في لحظات الغفوة أو المنام إلى السماء فلا يعرف زمن تجليه على هذه الصورة هل هو يوم أو ساعة أو دهر وهو ما عبّر عنه بقوله "الدّهر هو الحقيقة، أمّا الباقي فكل إلى زوال."[11]

وتظهر سردية الحلم/المنام في قوله " فغفا على نار الكانون الحطيبة، فرأى نفسه دخل نور كان سيقرأه في ركعته الأولى من صلاة عشائه، في ليلة باردة عميقة السكون. فابتهل فألهم رؤية **الشجرة المباركة**. فتوهم أنّه **هز بورقة من غصنها فأضاء له في ظلمة روحه** أمان من خوف ما كان سيناديه إليه قدره. وكان إذ مد يده إلى مشكاة نحاسية، من بقايا أثاث مكتبة والده مصوغة من تزايين الفوانيس العتيقة فلمسها، **بزغ له سطوع** كأنه من شمس أو من قمر، لا هو في ليل ولا في نهار. **كشف له سبعين ظلا يمشون على سطح زيت الشجرة الوبيض الصافي** فهتف له من بينهم صوت جده حسن "**أولياء ينتظرون عودتك**" فرأى نفسه خلع نعله. فانفتح له إليهم **مسرى** مليء ضبابا أبيضا سرعان ما جلا عن امرأة ائتزرت أكاليل حلقية من الياسمين نطقت له:" عبد النّور حبيبي، سأكون رفيقتك في رحلتك.""[12]

يمثّل هذا المقطع السردي جانبا من الرؤية الصوفية التي يعبّر عنها الروائي، بما تحمله من تعددية في التّأويل والتّفسير، حيث تحمل هذه الرؤية/المنام طابع العُجب الذي لا يراه إلاّ المتصوف الزاهد في الدنيا الباحث عن الحقيقة الوجودية والمغرق في حب الذّات الإلهية والاتصال الشديد بها، ممّا جعله يرى في منامه هذه الرؤية التي تحتمل تأويلات

---

[11]–الحبيب السايح، رواية زهوة، ص06.

[12]– المصدر السابق، ص12.

عدّة. فالشجرة المباركة، والضوء الذي أنار له ظلمة روحه، والمسرى الذي انفتح له وغيرها كلّها إحالات نصية مستمدة من التراث الديني.

ولعل نزوع الكاتب إلى توظيف هذا الخطاب الضبابي، الذي يميل إلى الغموض تارة، والانغلاق تارة أخرى إنّما هو طريقة خاصة في تسريد الخطاب الصوفي العصي عن الفهم والتأويل، فهو يشترط وجود قارئ عارف بخلفيات الرؤية الصوفية ونماذجها الكثيرة. وهو نص لا يقبل بقارئ عام بل يشترط قارئا خاصا نوعيا وفقيها عارفا بعالم المتصوفة، وحياتهم، ولباسهم، وأسمائهم، وسلوكياتهم وحديثهم، وصمتهم لأن "التّصوف يروم بلوغ الحقيقة القابعة فيما هو باطن وغيبي للشرع، لا فيما هو ظاهر منه، فقد كانت وسائله لبلوغ ذلك المجهول الغامض مختلفة ومتميزة، إذ أنتج الفكر الصوفي طريقا جديدا للمعرفة والإدراك والوجود، تتجاوز حدود العقل، بمقاييسه المنطقية، وكذلك قيود الحس، بمعاييره المادية، واجترحوا آليات ومسالك مغايرة عمادها: الرؤية القلبية، والحدس، والإلهام، والفيض الروحي، والذوق الفطري السليم، والإشراق، والكشف...في سبيل التّوجه إلى الذّات الإلهية والانخطاف بها وإليها، والتّجرد عمّا سواها."[13]

ويرجع توظيف **الحلم/المنام** في الرواية الصوفية إلى قدرة الزمن الحالم أو الغفوة كما يسميها المتصوفة على الارتقاء بالروح مدة من الزمن هو الزمن المطلق المفتوح، وهذه الرؤية شائعة عند كثير منهم، وقد أعلن (الحبيب السايح) في روايته هذه عن تأثير فلسفة الزمن النتشوية في تشكيل نصه، فيكاد يكون النّص نسيجا من الأزمنة المفتوحة حيث تتخذ الشخصيات الروائية ك(عبد النور) الذاكرة/التّذكر وقودا للسرد، وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال عتبة التّصدير باعتبارها نصا موازيا لما سيقوله النّص المتن، حيث وظف قول نتشه

---

[13]– فائزة الزيتوني، بلاغة الصمت في الخطاب الصوفي، وأدبياته في كرامات الأولياء، أعمال ندوة فكرية : الصمت في الخطاب، دار يافا للبحوث والدراسات، تونس ط1، 2018، ص297.

"**أما أنا وقدري فلا نتكلم للحاضر، ولا نتكلم لزمن اللازمن أيضا**" من كتابه الشهير"هكذا تكلم زرداشت."

فالزمن عند المتصوفة يختلف في تقديره عند باقي الأشخاص، إنّه زمن مطلق ومفتوح يُقدر بحسب درجة علو الروح واتصالها بالذّات الإلهية، فالأشياء عندهم مطلقة في الوجود وهذا ما أشار إليه (عبد النور) في الرواية بقوله "بقدر ما رأيتك خارج كل شيء، وجدتك ملء كل شيء"[14]

كما وظف الروائي في نصه معالم الصوفية على اختلافها؛ من المعجم اللّغوي الصوفي، وأسماء الشخصيات، والكرامات، والأحوال والمقامات، ففي **المعجم اللّغوي** نجد أنه أسهب في توظيف العبارات والمفردات المستمدة من الحقل الصوفي على غرار: **المزار** كما في قوله: " ثم أسر إليه أنه لما دخل المزار انتابته قشعريرة وقوفه فيه أول مرة فلم يجرؤ على فتح بابه الدّخلاني، ساكتا عن رحلته العجيبة في تلك الليلة"[15]، **والخلوة** كما في قوله "وما حتمت الضرورة إضافته من أثاث زاهد امتلأت به الخلوة، التي دخل في صمتها الذي عليه كان إدريس غادرها قبله."[16]، **والنّور والمنتهى** كما في قوله" وأصغى راضيا لأصوات مهموسة من حوله "ها هو باب من نور فتح لك، سيعبره روحك إلى ذهابك اللذيذ نحو المنتهى لن تترك خلفك غير رداء الوهم."[17] **واليقين** كما في قوله "ومن الخفايا ما لو ظهر لنُسف اليقين"[18]

ومن العبارات الصوفية التي ورد ذكرها" فسبّح بحمد من صوّر، واستعاذ بربه من الخبل" وكذلك **قوله** على لسان الشيخ إدريس" فنطق يوسف، بابتهاج من خرج من ظلمة:

---

[14]– رواية زهوة، ص05.

[15]– رواية زهوة، ص08.

[16]– المصدر نفسه، ص06.

[17]– المصدر السابق، ص07.

[18]– المصدر نفسه، ص08.

"باسم نور السماوات والأرض. والسلام على من كان نبيا وآدم بين الماء والطين، وبعد، هذا كتابي أوصي به إلى قرينتي الطالق عزيزة بنت السراجي إنّي أسميت الوليد الذي تضعه يوسف، والله أشهد أنّها وهي في عصمتي ما خانت ولا فحشت العبد الفقير إلى الله إدريس."[19]

وأمّا **الشخصيات** التي وظّفها في نصّه فهي تحيلنا مباشرة إلى حضور النّزعة الصوفية وتلّبسها بغموض التّرميز فيها، وهي جميعها تتخذ معاني القداسة وتفتح المجال أمام القارئ للبحث والتّأويل السببي عن علاقة الأسماء بصفات الشخصيات وسلوكياتها، **فعبد النور** مثلا اسم مشكل من عبد بمعنى العبد الخاضع لله تسليما وتقديرا لجلاله وعظمته، مقترنا باسم الله النّور لما لهذا الاسم من دلالة وتعظيم عند المتصوفة الذين اتخذوا طريق الزهد والتّعبد بحثا عن طريق الحق وبحثا عن النور الذي يوجه مسارهم، و**رضوان**، و**عالية**، و**يوسف**، **وإدريس**، و**كوثر**، و**الشيخ**، وغيرها فهي جميعها تنتمي إلى الحقل الصوفي/النّوراني إن جاز لنا التّعبير.

وقد ارتبطت بعض هذه الأسماء ببعض الكرامات، **والكرامة** "قصة صوفية، تعتبر أحد أبرز أشكال السرد الصوفي المحمل بمبادئه وأفكاره مفاهيمه، خاصة ما يتعلق بالقدرات الهائلة للولي على الفعل الخارق، وتصاغ في سياق سردي عماده الحركة والفعل والتمثيل والحوار والمجاز والتخييل والإغراب وعليه كان لها ذلك الرواج الكبير وتلك المقبولية الواسعة لدى الخاصة والعامة لما فيها من تقاطعات مع القصص الشعبي".[20]

ومن الكرامات التي ورد ذكرها في النّص ما قام به الشيخ "على أمارة أسى شهقة، وضع الورقة فوق المائدة، وضمد بأطراف أصابعه البيضاء عينيه الحبليين، فكتم الشيخ

---

[19]– المصدر نفسه، ص42و43.

[20]–فائزة الزيتوني، بلاغة الصمت في الخطاب الصوفي، وأدبياته في كرامات الأولياء، أعمال ندوة فكرية، الصمت في الخطاب، دار يافا للبحوث والدّراسات، تونس، ط1، 2018، ص300.

زفرته، وتلطف له: "جاءنا في ثوب الريب فبدلناه له كساء من اليقين، وثبتنا قلبه على المحبة العظمى."[21]

ولعلّ الذي جعلنا نحكم على رواية زهوة للحبيب السايح بأنّها رواية صوفية هو تماديه في الكتابة باللّفظ الصوفي واعتماده على الرؤية الصوفية في السرد سواء على مستوى الشخصيات أو الألفاظ أو حتى وصف الأماكن واللباس الصوفي ممّا يدل على نزعته الصوفية في هذا السرد الروائي، وممّا ورد في وصف اللّباس الصوفي ومكوناته قوله: "قريبا من الكانون المشتعل، راح يوسف فقدم له بيديه الوادعتين هذه القطعة وتلك من ثياب الخروج، من الصدرية القطنية والجلابة الصوفية إلى الجزمة الجلدية والقفازين الصوفيين لشد الرسن. ثم مد له العمامة الصفراء فلفها وسواها كأنها تاجي الإبريزي الضائع في مملكة حبي المنهارة."[22]

يمثّل الخطاب الصوفي في الرواية اليوم موردا لغويا ومعرفيا مهمّا للاستدلال على العودة إلى التراث العربي الإسلامي من جهة، كما يدل على التأثر الواضح بالرؤية الصوفية والخروج من دائرة تقليد النّموذج الغربي من جهة أخرى، وقد سبقت رواية محمود المسعدي الموسومة "حدّث أبو هريرة قال" إلى تبني منهج الكتابة الصوفية منذ العنوان الذي جعل شخصية أبا هريرة في هذا المقام تنفتح على تأويلات واحتمالات ثلاثة؛ عبّر عنها المسعدي في الهامش بقوله "أن أبا هريرة ثلاثة : أولهم الصحابي –رضي الله عنه– وثانيهم النّحوي وثالثهم هذا" [23]

ويمثّل أبو هريرة في النّص "شخصية ترتحل في سفر لم يكن له تخطيط مسبق في البحث عن ذاتها والوصول إلى المعنى الحقيقي للوجود الذي يتأسس من منطلق الشك ثم

---

[21]– رواية زهوة، ص43.

[22]-رواية زهوة، ص16و17.

[23]–محمود المسعدي، حدّث أبو هريرة قال، دار الجنوب، دط، تونس، 2000 ص12.

البحث"[24] ناهيك عن التوليفات اللّغوية التي استعان بها الكاتب في المتن، وهو معجم صوفي محض مستمد من الألفاظ القرآنية مما يدفع بالقارئ إلى البحث عن تأويلات مناسبة بغية الكشف عن الرسالة التي يجسدها هذا النّص.

لقد أصبح حضور الخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة أهم ملمح من ملامح التجريب الذي سار عليه أغلب الروائيون وأعنوا عنه على مستوى العنوان أو على مستوى التأثيث اللّغوي للنّص السردي، إما عن طريق التناص مع الكتابات الصوفية الشهيرة بابن عربي وابن الفارض والنّفري وغيرهم، والنّماذج على كثرتها لا يمكن حصرها في بحث واحد وإنّما يمكن الإشارة أيضا إلى بعض العناوين ذات النّزعة الصوفية على غرار: "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار، و"تلك المحبة" للحبيب السايح، و"سيرة المنتهى عشتها...كما اشتهتني" لواسيني الأعرج و"ما تشتهيه الروح" لعبد الرشيد هميسي، و"سفر السالكين" لمحمد مفلاح غيرها.

<u>خاتمة:</u> إن تتبع مسار حضور الخطاب الصوفي في الرواية العربية معاصرة رهين الاطلاع الدائم على ما يصدر من نصوص بصفة مستمرة من أجل رصد معالم وملامح الحضور الصوفي في كل نص، ونجاح عملية التّجريب فيه، فكما سبقت الإشارة في هذا البحث أنّ توظيف المعجم الصوفي وحده غير كاف لتصنيف النّص بأنّه صوفي، وإنّما لابد من حضور الرؤية والمنهجية الصوفية في التّعامل مع الوجود والاعتماد على التّرميز والتّشفير المغرق في العجائبية ، والاستعانة بأساليب الاتصال الروحي بالذّات الإلهية على غرار الحلم/المنام والكرامات، والخلوة والدّعاء والمناجاة وغيرها من العناصر التي كشفت عنها الدراسة في رواية "زهوة" للحبيب السايح.

---

[24]–علي صوشة سهيلة، رواية حدث أبو هريرة قال...اشتغال حداثي في عباءة التراث، مجلة دراسات، مج 10، ع2، ديسمبر 2021، ص177.

كما تؤكد الدّراسات في مجال الخطاب الصوفي على نوعية القارئ/المتلقي الذي لا يكون قارئا عاديا وإنّما يكون قارئا منفتحا على العلوم والمعارف العرفانية والتراثية من جهة، وعارفا بمدارات التّأويل والتّفسير من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1-الشيخ نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان، الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي، دار القادري للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1 ، 2007.

2- الحبيب السايح، رواية زهوة ، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ط1 ،2011.

3- فائزة الزيتوني، بلاغة الصمت في الخطاب الصوفي، وأدبياته في كرامات الأولياء، أعمال ندوة فكرية : الصمت في الخطاب، دار يافا للبحوث والدراسات، تونس ط1، 2018.

4--محمود المسعدي، حدّث أبو هريرة قال، دار الجنوب، تونس، دط، 2000.

5- علي صوشة سهيلة، رواية حدث أبو هريرة قال...اشتغال حداثي في عباءة التراث، مجلة دراسات، مج 10، ع2، ديسمبر 2021.

6- ابن عربي، الفتوحات الملكية، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ط2، 1985.

7- أدونيس، الثابت والمتحول، دار الفكر، بيروت، ط5، 1986، ج3.

8- أسيا متلف، التّجريب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة وتجلياته، مجلة التعليمية، م4، ع10، مارس 2017، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس.

9- سكينة قدور، تحوّلات الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، أدونيس وأحمد السهاوي، أعمال الملتقى الوطني: تلقي النّص التراثي في المنظور الحداثي، يومي 13و14 مارس 2012، جامعة الأمير عبد القادر، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية.

10- علي صافي حسن، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع هجري، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف، مصر، د. ط، 1981.

11 -فتيحة غزالي، تجليات الصوفية في الرواية المعاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018/2017

12-فريال جبوري غزول، الرواية الصوفية في الأدب المغاربي، مجلة البلاغة المقارنة، الأدب والأنثروبولوجيا في إفريقيا، ع17، 1997.

13-مجدي محمد إبراهيم، التجربة الصوفية، بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية ورؤية الواحدية في تجربة العارف الروحانية، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

14-وفيق سليطين، الشعر والتصوف، ط1 ، دار الجزار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 2013،